تناقضات المؤرخين؛ محمد علي باشا وولايته على مصر 1805م بين الرجبي والجبرتي وموقف الكتابات الأرشيفية المعاصرة

د. حسن بربورة * [1]

[1] مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية، جامعة يحي فارس المدية

Barbora.hacen@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/ 24 **تاريخ القبول:** 2026/05/ 23 **تاريخ النشر:** 2026/07/ 10

ملخص:

تطرح المعرفة التاريخية أحيانا نوعا من التناقض، والذي يعتبر مصدر بهجة للمؤرخ، كونه يطرح مزيدا من التساؤل والبحث، وفي هذا الصدد نجد أنه قد اختلفت الآراء بل وتناقضت في تناول شخصية وولاية محمد علي باشا على مصر وإصلاحاته (1805-1848م)، هاته الشخصية المركبة التي تزخر بالمتناقضات، والتي ذهب المؤرخون في تأويل أعمالها كل مذهب.

فهو عند "الرجبي" باني مصر الحديثة، وصانع مجدها، وقائدها الشجاع، الذي انتقل بها حقا من العصور الوسطى إلى دولة حديثة، في حين رآه "الجبرتي" بالشاب المغرور، الجاهل، الجبان، الظالم الغشوم، من طبعه الحقد والحسد، والذي لا يفي بعهد ولا بوعد، ولايبر في يمين، ولا يصدق في قول. فأي الشخصيتين كان محمد علي باشا؟ وما سبب هذا التناقض في تناول شخصيته وولايته على مصر بين الرجبي والجبرتي؟ وإلى أي مدى يمكن للدراسات الأرشيفية أن تكون أكثر موضوعية للفصل في هذا التناقض؟

الكلمات الدالة: تناقضات المؤرخين؛ محمد علي باشا؛ خليل بن أحمد الرجبي؛ عبد الرحمن الجبرتي، الكتابة الأرشيفية.

Abstract:

We sometimes find in historical writing a kind of contradiction, Which gives joy to the historian, because it raises more questions and research, In this regard, we find that opinions have differed and even contradicted in the study of the personality and mandate of Mohamed Ali Pasha over the Egypt and his reforms (1805-1848), this complex personality that is full of contradictions, When "rugby" is considered one of the modern Egypt, and made its glory, and its brave

leader, who moved it from the Middle Ages to a modern state, while when "Al-Jabarti" is considered a young man arrogant, ignorant, cowardly, unjust, who is characterized by hatred and envy, who does not fulfill a covenant or promise, and does not believe in saying. Which of the two characters was Mohamed Ali Pasha? What is the reason for this contradiction in dealing with his mandate over the Egypt between rugby and al-Jabarti? To what extent can archival studies be more objective to judge this contradiction?

Keywords: Contradictions of historians; Mohamed Ali Pasha; Khalil bin Ahmed Al-Rajabi; Abdul Rahman Al-Jabarti; archival writing.

المؤلف المرسل: حسن بربورة، الإيميل: Barbora.hacen@univ-medea.dz

1. مقدمة

يحفل التراث التاريخي العربي الاسلامي بالعديد من المؤرخين الذين طوروا علم التاريخ، ووضعوا تصانيف مهمة في تاريخ التاريخ وفلسفته مثل: الطبري، المقريزي المسعودي، وابن إياس وغيرهم من الذين اهتموا بهذا العلم، ورفعوا مكانته في تاريخ الفكر الانساني عامة، والذي بدوره استفاد من الفكر الغربي الذي طور نفسه في مجال المعرفة التاريخية انطلاقا من عصر النهضة، حين تفتحت ملكة النقد التاريخي في أوروبا، وظهرت مواقف فكرية أكثر عقلانية وواقعية اتجاه التاريخ[1].

وعلى الرغم مما يوجه إلى منهج البحث التاريخي عند المؤرخين العرب المسلمين من نقد قد يصدق على بعض مؤرخيهم أو أكثرهم أحيانا، كجعلهم الحكام والأفراد محور أبحاثهم واهتمامهم بالحروب والسياسة أكثر من اهتمامهم بالنواحي الحياتية الأخرى، وانصرافهم عن التحليل والتعليل الدقيق للأحداث وخفاياها البعيدة، إلا أنهم خلفوا للمؤرخ المعاصر ثروة تاريخية ضخمة، تمكنه الاستفادة من مادتها على نطاق واسع للوصول إلى البنى التاريخية الحقة[2].

وقد حملت مراحل كتابة تاريخ مصر العثمانية عديد التناقضات، نتيجة للواقع السياسي الذي مرت به العلاقات بين الدولة العثمانية والقوى الأوربية، ما عرقل تشكل رؤية حقيقية للواقع الذي كانت عليه ولاية مصر العثمانية[3]، وسيكون في لب دراستنا هاته تناول ولاية محمد علي باشا على مصر سنة 1805م وإصلاحاته[4]، من خلال مصدرين معاصرين له، ألفهما عالمين من علماء الأزهر، بين التمجيد في مخطوط "تاريخ الوزير محمد علي باشا"[5] لأحمد بن خليل الرجبي من جهة، والتحقير والتنديد في كتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" لعبد

الرحمن الجبرتي من جهة أخرى، كما سنعمد إلى تقديم تقييم بعض الكتابات التاريخية المعاصرة[6] أيضا لولاية محمد علي باشا، والتي اعتمدت الوثائق الأرشيفية سواء العثمانية أو المحلية، مما أسهم في إنتاج دراسات جديدة لتاريخ هاته الفترة من تاريخ مصر تبدو أكثر موضوعية.

2. تقديم المصادر

1.2- تاريخ الوزير محمد علي باشا للشيخ خليل بن أحمد الرجبي (؟-1829م)

خليل بن أحمد الرجبي الشافعي الشاذلي، مؤرخ، متكلم، صوفي، أديب وشاعر، يجهل تاريخ مولده، كما اختلفت المصادر في تاريخ وفاته[7]، ولد في أسرة ميسورة الحال، تولى تدريس علم التوحيد بجامع الأزهر الشريف بالقاهرة، وله مؤلفات فيه، منها (وسيلة المريد في علم التوحيد)، أما مخطوطه (تاريخ الوزير محمد علي باشا)، فقد ألفه بناء على طلب من شيخه محمد العروسي، والذي كان على علاقة وطيدة بمحمد علي باشا منذ بداية توليه حكم مصر، حيث طلب منه كتابة تاريخ يؤيد فيه إصلاحاته، وتماشيها مع أحكام الشريعة الاسلامية[8] وهو ما يظهر ذكاء محمد علي وتوظيفه للدين في السياسة، من خلال استمالة العلماء إلى جانبه، واستغلال مكانتهم وحظوتهم في المجتمع. وقد جاء في مقدمة المخطوط: "كتاب لطيف وتلخيص مجموع شريف، يتضمن أخبار حضرة الصدر العلي، ذي العز والفخر الجلي، سيد وزراء الأقطار.. حضرة سيدنا الوزير محمد علي... وأن يكون الكتاب مخبرا عن بعض آثاره، مظهرا آماله من مظهر الهمم، ورفعة مناره، وذلك على طريقة الإجمال، لأن تفصيل ذلك يعجز عنه فحول الرجال"[9].

وفيما يخص منهج الرجبي في مخطوطه، فقد اتبع المنهج الموضوعاتي[10]، وهو ما يتسق مع فكرة الكتاب، وتسجيله لأعمال محمد علي باشا واصلاحاته، بدل المنهج الحولي (الترتيب الزمني للأحداث) الذي اشتهر في الكتابات التاريخية الاسلامية، وقد اعتمد فيه المؤرخ مصادر أساسية أكثرها مشافهة، والتي استقاها من التجار الجند، أو من خلال معاينته الشخصية للأحداث، حيث كان الرجبي شاهدا على الفترة الأولى من ولاية محمد علي باشا ما يكسب مخطوطه أهمية، رغم أسلوبه الركيك، وممالئته لوالي مصر[11].

قسم الرجبي مخطوطه إلى مقدمة وسبع مقالات، تناول في المقدمة العدل كأساس لصلاح الدنيا والدين، والذي لا يتحقق إلا بوجود حاكم قوي مطاع أمين، يجمع بين الهمة الشجاعة، الذكاء والأخلاق، في إشارة إلى والي مصر محمد علي باشا الذي يرى أنه قد توفرت فيه كل تلك الصفات، كما يتناول في المقدمة أحوال مصر

قبيل الحملة الفرنسية، واقتسام حكمها بين ابراهيم بك ومراد بيك بعد انقسام المماليك[12] إلى طوائف وجماعات متناحرة ويصف دخول الأتراك (العثمانيين) مصر بقيادة قبطان باشا وإجلاء الفرنسيين، وإرسائهم الأمن والطمأنينة لفترة، إذ أنه سرعان ما دخلت طوائف الغز المماليك الذين أشاعوا الفوضى والاضطراب، وهذا إلى غاية تولي محمد علي باشا ولاية مصر، أين أعاد الأمن والاستقرار مجددا، وسعى في عمران ولاية مصر[13].

وتناولت مقالات المخطوطة السبعة سيرة وإصلاحات محمد على باشا في مصر، بداية في المقالة الأولى (بعض صفات ومحاسن أخلاقه الجليلة الجميلة)، والتي اكتفى فيها الرجبي بموقف المادح، غير أنه تناول أيضا نظام الشورى في مصر، واشراك رجال الحكومة في الرأي، وبداية تأسيس الدواوين، وأهمها المجلس العالي والمجلس الخديوي، كما استعرض كيفية اختيار محمد علي لحكامه وكبار موظفيه، ورعايته لتنظيمات المشايخ والنقباء[14]. وتضمنت المقالة الثانية ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول انتصار محمد علي على المماليك وإخراجهم من مصر، بعنوان (اخراج المماليك..)[15]، وتناول الفصل الثاني حروب محمد علي مع الوهابيين وتدميره لمدينة الدرعية، وقد انفرد الرجبي في الحديث عن بداية الحركة الوهابية وانتصارهم على العربان في نجد والحجاز، وامتداد نفوذهم حتى الطائف وبلاد الحرمين وأطراف اليمن، وحمل عنوان (في قمع شوكة الضالين.. وهم الوهابية وإخراجهم من بلاد الحرمين ومدينة الدرعية..)[16]، كما خصص الفصل الثالث لرصد نجاح محمد علي في استعادة الأمن المفقود في الديار المصرية بعنوان (في قمع شوكة المفسدين من طوائف أجلاف الفلاحين والعربان بقطر مصر وإذلالهم)[17].أما المقالة الثالثة فتناولت سياسة محمد علي باشا الزراعية بعنوان (في ذكر تعمير حضرة أفندينا للقطر المصري وإحياء أرضه وبلاده بالزروع والثمار)، وهي السياسة التي كانت من أهم عناصر التنمية الاقتصادية التي اعتمدها محمد علي باشا، ومصدر تمويل لمشاريعه المختلفة، حيث ارتكزت سياسته على احتكار الأرض والإنتاج الزراعي (القطن خاصة) الاهتمام بمشاريع الري، العمل على تنوع الانتاج ، وإدماج مصر في الاقتصاد الأوربي[18].

وفي المقالة الرابعة ذكر الرجبي آثار محمد علي باشا من الأبنية والعمارات بمصر وسائر جهاتها، والتجديدات التي أجراها بكثير من المساجد والزوايا، وإنشائه للمصانع، وتعيينه للأجانب في إدارتها، إضافة لإرساله للبعثات العلمية إلى أوربا[19]، أما المقالة الخامسة فخصصها لإصلاحاته الإدارية وحملت عنوان (إعادة دولة كتبة المسلمين)[20]، وتناولت المقالة السادسة النشاط البحري المبكر لمحمد علي باشا بعنوان: (إنشاء مراكب بحرية وآلات حربية وما أنشأه من الترع والأنهار والبلاد والديار والأقطار)، فتطرقت لإنشائه ترسانة الاسكندرية سنة 1829م، واهتمامه بإصلاح نظام الري، وتشييده للعديد من القناطر (القناطر الخيرية) والجسور[21]. وتناولت المقالة السابعة والأخيرة دفاع الرجبي عن النظام الجديد الذي أدخله محمد علي باشا على الجيش، والنظم الحربية

الحديثة، بعنوان (في الشأن الأكبر والتدبير الباهي الأبهر في ذكر اختراع حضرة أفندينا للعساكر الجهادية وما في ذلك من الحزم وعظيم المزية) وقدم فيها خمس أدلة شرعية تثبت أن اصلاحات والي مصر توافق الشرع الاسلامي، إضافة للتعريف بجهوده في تجنيد المصريين عقب فشله في تجنيد السودانيين في الجيش، وموقف العداء من المصريين ورجال الدين لهاته الإصلاحات[22].

2.2- عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي (1754-1825م)

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي مؤرخ الصدام الحضاري الأول بين الشرق والغرب[23]، ولد حوالي سنة 1754م بالقاهرة[24] وتوفي سنة 1825م، و"جبرت" هي موطن جده الأكبر على البحر الأحمر بالحبشة[25]، نشأ في بيت علم، حيث كان والده الشيخ حسن الجبرتي من كبار علماء زمانه، ويتقن عبد الرحمن اللغتين العثمانية والفارسية، وكانت له مكتبة نفيسة، تعلم وعلم في الأزهر، وعندما احتل الفرنسيون مصر سنة 1798م كان من كتبة الديوان، وبعد فشل الحملة الفرنسية تولى الافتاء على المذهب الحنفي عهد محمد علي باشا[26]. في هذا الجو نشأ وتعلم المؤرخ عبد الرحمن الذي تتلمذ على يد ألمع أساتذة مصر وعلى رأسهم محمد المرتضى الزبيدي الحنفي اليمني[27].

ويعتبر الجبرتي أعظم مؤرخي مصر في الفترة الحديثة نهاية القرن 18م والربع الأول للقرن 19م، حيث عمل على إحياء حركة التأليف التاريخي في مصر بعد توقفها خلال الفترة الممتدة بين القرنين 16-18م. أما كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" فيعد من أشهر مؤلفاته[28]، إذ يصفه المؤرخ مكدونالد في موسوعته (دائرة المعارف الإسلامية) بأنه أعظم تواريخ مصر في القرنين 12-13هـ/18-19م، ومن بين أهم المصادر والحوليات المختصة بالشؤون المصرية، وله العديد من النسخ المخطوطة[29]، وقد كان دافع الجبرتي لتأليفه تلبية طلب شيخه المرتضى الزبيدي بعد طلبه إعداد قائمة اسمية لتراجم المصريين خلال القرن 18م لإرسالها إلى مفتي الشام ودمشق الشيخ محمد خليل المرادي، لكن الجبرتي استفاد فيما بعد من هاته القائمة.

وجاء مضمون الكتاب في علم التاريخ وإبراز فوائده، ثم تاريخ مصر من أقدم العصور وصولا للعصر العثماني وعهد محمد علي باشا[30]، واعتمد فيه على المنهج الحولي، حيث يذكر أحداث كل سنة ويختمها بمن توفي فيها من الأمراء والشيوخ والعلماء، إضافة للأدباء والشعراء والتجار وأرباب الحرف وحتى الباعة والدراويش، وكان دقيق التحري وأمينا في النقل، يقف موقف النقد أحيانا كموقفه من محمد علي باشا، فأنصفه ما يمكن انصافه، وندد به ما يمكن التنديد[31]، وعلى الرغم من كراهيته له لما شاهده منه من عنف واستبداد في عهده واحتكاره لأدوات

الإنتاج، وإلغائه لنظام الالتزام الذي تضرر منه شخصيا، إذ لم يكن يدرك هدف محمد علي باشا من إلغائه للأنظمة التي كانت سائدة قبل فترة حكمه، وعد ذلك ظلما ينافي العدل[32]، إلا أن كتابته عنه اتسمت بالموضوعية إلى حد بعيد، والحقيقة أن انتقادات الجبرتي اللاذعة في تاريخه (عجائب الاثار) لم تكن بغائبة عن محمد علي، وكان ذلك سببا كافيا لحجب الكتاب ومنعه من النشر إلى غاية طبعه عهد توفيق الخديوي سنة 1880م[33].

3. شخصية محمد علي باشا وولايته على مصر بين الرجبي والجبرتي

في حين يتحدث الرجبي في مقدمة كتابه (تاريخ الوزير محمد علي باشا) صراحة عن الهدف من تأليفه، وهو تلخيص أخبار الباشا محمد علي وذكر ما له من الرفعة والهمة، يذكر الجبرتي أنه لم يقصد من كتابه (عجائب الآثار) خدمة ذي جاه أو طاعة وزير أو أمير، ولا مداهنتهم[34]، وفي معرض ذكر صفات محمد علي باشا ومحاسن أخلاقه يصفه الرجبي بأنه "سيد وزراء الأقطار، والمشرف على جميع أولي الوقار، صاحب الهمم الكسروية، والأخلاق الجميلة البهية.. بادئ النتايج ومظهر المراحم"[35]، إلى غير ذلك من عبارات المديح والثناء وعلى النقيض من ذلك كله يصفه الجبرتي بالشاب المغرور، الجاهل، والظالم الغشوم[36]. ويبالغ الرجبي في وصف كرم محمد علي وعطاءاته، فمن أخلاقه "أنه يعطي العطاء الكثير الجزيل لمن صنع في خدمته الشيء التافه القليل.. ومن أخلاقة الشريفة الحسنة جعله مرتبات عديدة كثيرة.. ولاسيما ما فرضه لخاصة العلماء، ومعاشر السادة الفضلاء من المرتب السنوي"[37]، أما الجبرتي ورغم علمه أن انتقاده له سيسبب له المتاعب، فيصف طباعه وسيء خصاله "من طبعه الحقد والحسد، والتطلع لما في أيدي الناس وأرزاقهم"، وينعته بالغدر وعدم الوفاء بالعهد والوعد، فلا يبر في يمين، ولا يصدق في قول[38]، لكنه مقابل ذلك يشيد بفضله في تعمير الاسكندرية، ووصف ذلك بأنه من محاسن الأفعال التي عجز السابقون عن القيام بها[39].

ويذكر الرجبي أن من أخلاق محمد علي باشا حبه لسنة رسول الله ^واتباعه للشرع الاسلامي، وأن من صفاته التي تميز بها عن سائر الملوك والأمراء والوزراء انصرافه عن سفك الدماء، بل كان يعفو ويصفح "ولا يقع منه ذلك إلا لمن كان مستحقا لذلك المعنى"[40]، وعند إشارته لمذبحة القلعة[41] هون منها ووصفها وصفا مقتضبا، واكتفى بقوله أن ذلك "من المراتب المعروفة المشاهدة عند أهل مصر وقطرها التي لا حاجة إلى ذكرها للعلم بها والإحاطة من كل الناس بتفاصيلها"، ولا يظهر أي تعاطف مع المماليك الذين كان يرى بأنهم مغفلين ظالمين، وقد تعرض شخصيا لظلمهم بعد استيلائهم على التزامين له[42] بينما يذكر الجبرتي أنه تمت في دولة محمد علي المناداة على الربا جهارا في الأسواق، وأن ذلك من غرائب الحكام. وعلى عكس الرجبي يبدي الجبرتي تعاطفا كبيرا مع

المماليك، ويورد وصفا مسهبا لمذبحة القلعة، ويذكر أن عدد قتلاها تجاوز الألف قتيل من الأمراء والجنود والمماليك، وأنها من أبشع حوادث التاريخ، وأن جنود محمد علي أسرفوا في قتل المصريين (المماليك) وسلبهم ولم يرحموا أحدا، وأظهروا كامن حقدهم[43].

ومن المواقف التي يتضح فيها تباين آراء الرجبي والجبرتي في محمد علي، الموقف من الحملة الانجليزية الفاشلة على مصر سنة 1807م، إذ يتحدث الرجبي عن شجاعة محمد علي في التصدي للحملة "حيث أن الافرنج الانجليز لما هزمهم وطردهم بقوته المشهورة، وردهم أذلاء بعد تمكنهم من ثغر رشيد.. عمهم قتلا وأسرا في واقعة الحماد"[44]، أما الجبرتي فذكر أنه ما إن بلغ محمد علي نبأ الحملة الانجليزية ونزولهم بالإسكندرية حتى "ارتعدت فرائصه وانحلت عزائمه.. وثبت في يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية"[45]، وعزم الفرار إلى الشام، كما ينسب الجبرتي الانتصار في موقعة الحماد إلى العامة وأهل البلاد الذين تنادوا بالجهاد، "وليت العامة شكروا على ذلك، أو نسب إليهم فعل، بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره"[46].

ومن الموضوعات التي للرجبي فيها رأي مناقض تماما للجبرتي الضرائب والمغارم التي فرضها محمد علي باشا على المصريين، خاصة في الفترة الأولى من حكمه، حيث تحدث الرجبي عن راحة العباد وعمار البلاد، وعدم تمكين والي مصر لأحد من الحكام في مصر وأقاليمها من ظلم أحد من التجار ولا من المزارعين والفلاحين، ولا من ظلم الناس عموما[47]، أما الجبرتي فيذكر توالي مرور عساكر محمد علي باشا آناء الليل وأطراف النهار طلبا للكلف واللوزام، وأشياء يستحي الانسان من ذكرها، ولا يمكن الوقوف حتى على بعض جزئياتها، حتى "خربت القرى وافتقر أهلها، وجلوا عنها"[48]، كما أدت سياسات محمد علي كما يقول إلى "غلاء الاسعار في كل شيء، وخصوصا الأقوات التي لا يستغني عنها الفقير في كل وقت، بسبب الاحداثات والمكوسات التي ترتبت على كل شيء"[49]، وأبدى انزعاجه من إثقال محمد علي للمصريين بالضرائب من أجل تدبير تكاليف الحملة على الحجاز بقوله: "أظهر الباشا الاهتمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر.. فلما وصل إلى السويس حجز الداوات التي وصلت بالمحمل.. واستولى على البن الذي وجده ببندر السويس للتجار.. فغلا سعر البن"[50]، "وجعل (يقصد محمد علي) على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية، وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج"[51]. كما ذكر أن جنوده كانوا يخطفون من الفلاحين السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك، بحجة حملتهم على الحجاز لدرجة أن قل كل شيء، خاصة بعد أن استولى على مواشي الفلاحين وأغنامهم، ورغم ذلك فإنه يمكن القول إن الجبرتي كان وسطا في بعض الأحيان في حكمه على محمد علي، ومن ذلك قوله: "له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه

الأزمان فلو وفقه الله لشيء من العدالة، على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه"[52].

وعلى الرغم من أن كلا من الرجبي والجبرتي من علماء الأزهر، وعاصرا نفس الأحداث، إلا أن موقفهما اختلف من حرب محمد علي ضد الحركة الوهابية[53]، فنجد أن الرجبي يشير إلى مشروعية حرب الحركة الوهابية، لخروجها على ولي الأمر (السلطان العثماني)، و يقول أن السلطان "أرسل من حضرته أمرا مقبول الطاعة مسموع المضمون لدى أهل السنة والجماعة يتضمن منطوقه أمر حضرة الصدر العلي بالتكفل بإنقاذ بلاد الحرمين الشريفين"[54]، بل ويذهب الرجبي أبعد من ذلك حين يذكر أن عبد الوهاب وعبد العزيز سارا في الناس سيرة حسنة، لكن ابنيهما من بعدهما محمد بن عبد الوهاب، وكذلك ابن سعود الذي لما اشتدت قوته وكثرت أمواله "خرج عن قوانين أبيه، وتخول في النعم، ووقع منه الظلم والجور والتعدي على بلاد الحرمين"[55]، كما يذكر الرجبي أن عقيدة الوهابية زائفة باطلة، وأنه لم يوجد منذ خمسمائة سنة طائفة غيرت الشريعة مثلهم، كما يهاجم ابن عبد الوهاب، ويتهمه بفساد العقيدة، ومنعه الحجاج من آداء شعائرهم[56]. أما الجبرتي فيذكر أن ما ينسب إلى محمد بن عبد الوهاب من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع يتبرأ عنها[57]، ويبدي تفهما أكثر للدعوة الوهابية وتعاطفا مع رجالاتها واقتناعا بآرائهم، فيذكر مثلا أن انقطاع الحج الشامي والمصري سنة 1223هـ/1809م بسببهم ليس صحيحا، وأنه "لم يمنع أحدا يأتي الحج على الطريقة المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك، ومن البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل السلاح.. وقد وصلت طائفة من حجاج المغاربة (بخلاف قافلة الحج الشامي والمصري) وحجوا ورجعوا في هذا العام 1223هـ دون أن يتعرض لهم أحد بشيء"[58]، وعن دخولهم المدينة المنورة فيذكر أنهم استولوا عليها بعد حصارها نحو عام ونصف من غير حرب، وأنهم لم يحدثوا بها حدثا غير منع المنكرات وشرب التنباك في الأسواق، وهدم القباب ماعدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم"[59].

وحول نظام العسكر الجديد الذي استحدثه الباشا يقول الرجبي أن محمد علي باشا لما أمعن نظره في المصريين وعدم مقدرتهم على صد الحملات الأجنبية الخارجية "فهم لا يجيبون في مواطن الحرب من ينادي، ولا يمنعون عدوا يفجأهم.. مع أن القطر مشحون بالعدد الكبير .. تدارك فسادهم (أي محمد علي).. وأرسل إلى القرى والبلاد، وجمع الشبان أولي القوة الشداد، وقصد أن يعلمهم طرق الحرب ويوقفهم على كيفيات الطعن والضرب... وأحضر رؤوس أهل التعليم والرجال العارفين بهندسة الفراسة والتفهيم"[60]، وهم الذين اشتهروا فيما بعد باسم العساكر الجهادية تحت قيادة ابراهيم باشا. كما يقدم الرجبي خمس أدلة شرعية تثبت أن اتخاذ النظام الجديد من صلب الشريعة الإسلامية، ابتداء بدليله الأول، كون أن "حفظ الثغور الإسلامية وتحصينها بالعساكر الجهادية

لإرهاب الأعداء المحاربين وإدخال قلوبهم هيبة المسلمين واجب شرعا وفرض محتوم أصلا"[61]، ووجوب الأخذ بالأسباب وطاعة ولي الأمر والقائد قولا وفعلا "ليوافق السلف الأول، ومن لم يكن لهذا الأمر مادحا ومثنيا على وجوده ثناء صالحا فهو في غفلة عن الدين"[62]، أما الدليلين الثالث والرابع فيعزوهما إلى وقوع الخلل في الجيش، بسبب الجهل بالصناعات والفنون الحربية الحديثة، ووجوب ذلك على الحاكم، ووجوب تعلم صناعة البارود، فيقول:"فقد وجب عليه شرعا (الحاكم) المبادرة إلى هذه الصناعة، وحرم عليه إن تأخر وأبدى امتناعه"[63]، وأخيرا الوجوب الشرعي لضرورة حفظ الدين والنفوس والأعراض والعقول، وهو أمر لا يتحقق إلا بالقوة. أما الجبرتي فيبدي امتعاضه من النظام الجديد، ويشبه عساكر محمد علي باشا بالنصارى (الفرنسيين) ومما يورده في ذلك: "أمر الباشا لجميع العساكر بالخروج إلى الميدان لعمل التعليم والرماحة.. وأخذوا في الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود على طريقة الافرنج.. وأشيع أن الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد وأوضاع الافرنج، ويلبسهم الملابس المقمطة"[64].

4. ولاية محمد علي باشا في الكتابات الأرشيفية المعاصرة (أتيلا جتين نموذجا)

ولاية قوله محمد علي باشا لمصر في ضوء الوثائق العثمانية Kavalali Mehmed Ali Paşa'nin Misir Valiliği –Osmanli belgelerine göre هو عنوان الدراسة الأرشيفية للمؤرخ التركي أتيلا جتين[65] حول ولاية محمد علي على مصر، وصدرت في استانبول سنة 1998م، وتكمن أهميتها في اعتمادها وثائق الأرشيف العثماني (حوالي 170 وثيقة)، فضلا عن (دفاتر مهمة مصر)[66]، وكثير من المصادر المتعلقة بهاته الفترة، مثل تاريخ واصف، تاريخ جودت باشا[67]، وبعض المخطوطات من مكتبة ابن الأمين، إضافة لبعض المصادر الأجنبية[68]، وقد ترجمها للعربية وضمن حوالي 240 صفحة المؤرخ المصري المتخصص في الدراسات العثمانية محمد عبد العاطي محمد[69]، وحملت عنوان "رؤية الوثائق العثمانية ولاية محمد علي باشا على مصر عام 1805م"[70]،كما تخللت الترجمة مجموعة مختلفة من الصور لمحمد علي باشا (ص87، 142، 169، 183، 210) وصورتان للقاهرة القديمة ومسجد السلطان حسن (ص41، 116، 160)، إضافة لملحق بمعاني بعض الكلمات العثمانية الواردة في الكتاب.

يفتتح جتين دراسته بمدخل عن مصر، التي وبعد استيلاء السلطان سليم عليها سنة 1517م تمتعت بنظام السالياتة[71]، ولم يحدث بها تغيير جذري في النواحي الإدارية الاقتصادية والاجتماعية، حيث كانت تدار من

طرف الوالي المرسل من طرف الباب العالي إضافة للديوان الصغير (ديوان الوالي)، والديوان الكبير الذي يحضره زعماء الولاية، موظفوا الدولة، وأوجاق السناجق السبعة التابعة للماليك، والذين ظلوا يتحكمون في الإدارة، كما سمح لهم السلطان بتشكيل أوجاق جديد[72].

وفي نظرة على القاهرة القديمة يرى جتين أن هناك تشابها كبيرا يظهر في تاريخ الدولة العثمانية وولاياتها، بين ظهور الأعيان والاقطاعيين في الأناضول والروم ايلي من جهة[73] وظهور سرجشمه محمد علي واستيلائه على السلطة السياسية في مصر. فبعد الاحتلال الفرنسي لمصر (1798- 1801م)، قرر الباب العالي متأخرا – بسبب الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية– ارسال حملة لإخراج الفرنسيين وأعلنت الحرب رسميا في الثاني من سبتمبر 1798م، حيث أرسل العثمانيون جيشهم البري (60 ألف) بقيادة السردار الأكرم يوسف ضيا باشا، وتم في أثناء ذلك الاتفاق بين العثمانيين والروس من جهة في 23ديسمبر 1798م، ومع الانجليز من جهة ثانية في 06 جانفي1799م لكن وبعد وصول الجيش العثماني إلى جنوب سوريا، وفي أثناء استعداداته للهجوم في ربيع سنة 1800م، اقترح القائد الفرنسي "كليبر" على العثمانيين إخلاء مصر، وبعد مفاوضات ايجابية تم ابرام اتفاقية العريش 1800/01/24م، غير أن شروط الانجليز بإخلاء الجيش الفرنسي لمصر دون قيد او شرط أدى إلى اندلاع الحرب، وانهزم الجش العثماني في قليوب (هليوبوليس) في 20 مارس 1800م، وبناء على ذلك استقر الفرنسيون في مصر من جديد وانسحب "ضيا باشا" مع قواته إلى "يافا" استعدادا لهجوم جديد[74]، وبعد مقتل "كليبر" وتعيين الجنرال "مينو" في 14 يناير 1800م تغير الوضع، وبدأ سعي السلطان سليم الثالث مجددا من أجل إنهاء المسألة المصرية خاصة في ظل مساعدة الأنجليز بأسطول بحري يضم 5 آلاف جندي، إضافة لجيش بري من الهند، كما أرسل السلطان قبطان البحر "كوجوك حسين باشا" بأسطول عثماني إلى "أبي قير" فاستولى على "رشيد" وتوجه إلى القاهرة، وبهذا نجح سليم الثالث في كسر الوجود الفرنسي ومقاومته في القاهرة في 27جوان 1801م، وفي الاسكندرية في 30 أوت 1801م، وبدأت مباحثات الصلح لإخلاء القاهرة وإنهاء الاحتلال[75].

وعن الوضع الداخلي بمصر بعد طرد الاحتلال الفرنسي، يقول جتين أن أكبر مشكلة كانت تواجه الدولة العثمانية في مصر إضافة طبعا للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، هي كيفية تنظيم الإدارة فيها من جديد، وهذا بسبب أن كل الأجانب[76] الذين دخلوا القاهرة بسبب الحرب لم يخرجوا منها، حيث كان يحركهم هدف واحد ضد الاحتلال الفرنسي، لكن بخروجه بدأ كل فريق يبحث عن تحقيق طموحه في الفوز بحكم مصر[77].

ومن أجل إعادة تشكيل ولاية مصر، وتقوية علاقتها بالمركز في استانبول كان ينبغي إجراء اصلاحات فيها[78]، لذلك نص الفرمان المرسل من السلطان سليم الثالث إلى الصدر الأعظم على ضرورة ابعاد المماليك وتعيين وال جديد، حيث جاء في الفرمان: "لقد خرجت مصر من يد الفرنسيين.. فيجب أن تدار تحت نظام جديد، عن طريق طرد المماليك بالكلية.. وقد أرسلت إليك الكتخدا السابق عثمان أفندي لهذا الأمر، ولإخبارك بهدفي في تحقيق النظام في مصر وسيتحرك معك من أجل تثبيت دعائم النظام الجديد"[79]، واستقر الأمر فعلا على مقابلة عثمان لأمراء الإدارة العثمانية في مصر سبتمبر 1801م وبلغهم الأوامر، وأخبرهم بقرار السلطان القبض على أمراء المماليك في القاهرة والاسكندرية، وتعيين وال جديد على مصر "خسرو باشا"، وإن كان تعيينه ظل دون تأثير بسبب قبض ضيا باشا على السلطة الإدارية[80]. لكن حركة التطهير التي بدأتها الدولة العثمانية فشلت بسبب تدخل الأنجليز وحمايتهم لأمراء المماليك الذين انسحبوا إلى الصعيد تحت قيادة عثمان بك البرديسي، وفي ظل استمرار مشكلتهم أصدر ضيا باشا قبل خروجه من مصر في 8 جانفي 1802م بعض القرارات التي تنظم الأمور الادارية، المالية والعسكرية في المنطقة، ودخلت ولاية مصر بذلك في عهد نظام جديد لأوجاقات العسكر[81]، تولى بعدها خسرو باشا الولاية فعليا رفقة عثمان أفندي كتخدا الصدارة في تنظيم إدارة الشؤون المالية، والذي بذل جهودا كبيرة مع الوالي والدفتردار، وبعد خروج عثمان باشا بدوره من مصر جاء في فرمان الإبقاء المرسل إلى الوالي خسرو باشا أوائل شوال 1215هـ/ 1802م[82] بضرورة العمل على حماية الرعايا، والقضاء على شر أمراء المماليك العصاة وفسادهم[83].

لقد كان من ضمن القوات العثمانية التي أرسلت لإخراج الفرنسيين بعض الوحدات التي جمعت من مدينة "قوله" بقيادة القائد "علي آغا" رئيس وحدة الباشى بوزوق[84]، وعين مساعدا له الأرناؤوطي محمد علي، وقد دخلت تلك الوحدات مصر مع قوات الطليعة التي جمعت تحت قيادة "كوسه مصطفى باشا" في يونيو 1799م[85]، وإن كانت بعض المصادر تذكر أن محمد علي قد دخل مصر مع قوات "قبطان باشا" في مارس 1801م إلا أنها مصادر ليست قوية، والأبحاث المنشورة أخيرا تؤكد التاريخ الأول[86].

وسرجشمه محمد علي هو من مواليد مدينة قوله سنة 1769م، وقضى فيها حياة عادية ومتواضعة، حيث كان والده ابراهيم آغا رئيس حرس قوله (محافظ حدود)، وعمه طوسون آغا متسلم قوله، وهو الابن الوحيد الباقي من أفراد عائلته فعاش يتيما، حيث لقي الرعاية من عمه طوسون حتى مقتله من طرف الدولة العثمانية، فواجه

محمد علي بعد موته صعوبات كثيرة في حياته، وبعد بلوغه اشتغل في تجارة الدخان عند اليهودي الفرنسي Monsieur leon، ودخل الخدمة العسكرية في سن 18، وترقى حتى أصبح بلوكباشي (رئيس فرقة) وكان يمتلك شخصية ذكية وفريدة لأبعد درجة، وقد فتح له الاحتلال الفرنسي لمصر أفقا وطريقا جديدا في حياته حين دخلها مع عساكر قوله لإخراج الفرنسيين[87].

ويذكر جودت باشا في تاريخه ومصطفى نوري (ت1889م) في كتابه نتائج الوقوعات[88] أن محمد علي ترقى إلى وظيفة سرجشمه (مسؤول عن رواتب عساكر الباشى بوزوق وتعييناتهم وغيرها) في وقت قصير بسبب ذكائه ونجاحاته[89]. إلا أنه ليس هناك معلومات كثيرة عن السنوات الأولى لمحمد علي في مصر، ومتى أصبح قائدا على قوات الباشا بوزوق وعساكر قوله التي دخلت ضمن قوات قبطان البحر كوجوك حسين باشا[90]، وقد بقي في وظيفته (سرجشمه) حتى صار من زعماء عساكر الروم ايلي في مصر بعد طاهر باشا، وخلال عامين صار يعرف الشعب المصري، والولاية والقوات العسكرية، وسار بخطوات واضحة نحو امتلاك السلطة[91]. ففي ظل ضعف الإدارة المركزية في استانبول، والتي لم تكن على علم كاف وصحيح بالاضطرابات والتمردات التي كانت تحدث في مصر، ازدادت الأوضاع في مصر فوضوية ونجح سرجشمه محمد علي بذكائه ودهائه وفي فترة قصيرة 5-6 سنوات من خروج الفرنسيين من فهم وضع الولاية، إذ ظل يراقب الوضع السياسي، العسكري، الاقتصادي والاجتماعي، ويرصد موقف الشعب المصري والعلماء، والتنافس بين القوات العسكرية المختلفة، ونتيجة تحكمه في عساكر الأرناؤوط والباشى بوزوق، نجح في إدارة الصراع على الحكم في مصر بين المماليك والعثمانيين، من خلال ضرب بعضهم ببعض "وخير دليل على ذلك، أنه استخدم المماليك ضد الينكجرية، ثم استخدم أهالي مصر ضد المماليك، ثم أهل مصر من جديد ضد خورشيد باشا"[92]، دون أن يظهر هو في الصورة[93]، فكان يعمل دائما في الخلف، ويرى أن ذلك هو المناسب لتحقيق آماله، وهو ما أكده جودت باشا "كان (يقصد محمد علي) مترصدا ومترقبا لمجيء وقت مناسب ليستخدم فيه مهارته"[94]. كما تقرب من المصريين "وسلك طريقا مشروعا أدى في النهاية إلى انتخابه من الشعب فقد كان يعرف جيدا كسب ثقة الناس، واقترب من الأشخاص الذين اعتقد أنهم سيساعدونه، ثم استخدمهم في تحقيق طموحاته"[95] واستمال علماء الأزهر الكبار "فاكتسب دعم العلماء الذين كانت لهم كلمة مسموعة، وعلى رأسهم عمر مكرم الذي كان له تأثير ونفوذ كبير على الشعب، كما استفاد من عائدات الأوقاف والالتزامات بشكل كبير"[96]. وبعد عديد المؤامرات التي دبرها، والصراعات التي دخل فيها مع خسرو باشا وطرده من مصر وطاهر باشا، وعلي باشا الطرابلسي، وسجنه آخر الولاة العثمانيين في مصر

خورشيد باشا بالقلعة، أجبر الباب العالي على تعيينه واليا على مصر، حيث وصل الفرمان العثماني بعزل خورشيد باشا وتعيين محمد علي ابتداء من 20ربيع الأول 1220هـ/9جويلية 1805م، وهذا رغم محاولات الباب العالي إبعاده وتعيينه على ولاية جدة، إلا أنه نجح في المماطلة[97].

كما يؤكد جتين اعتبار محمد علي باشا رجل دولة، وشخصية ملفتة للنظر في تاريخ مصر الحديث —وهذا رغم أن قوة شخصيته بحسب رأيه لم تنعكس في وثائق الأرشيف العثماني– فيصفه بأن له ذكاء خارق، وطاقة رهيبة، وحرص شديد، إلا أنه كما يقول كان يخفي طمعه وحرصه، ويعمل المستحيل من أجل الوصول إلى أهدافه بعزم وقوة شخصية[98] ، "ومع أنه كان صاحب حظ وفير وطالع حسن، كان لديه قوة شخصية وقابلية"[99]، حيث تولى حكم مصر لمدة أربع وأربعين سنة 1805–1848م، وظلت أسرته العلوية تحكم مصر إلى غاية سنة 1953م، وقد حقق خلال ولايته الطويلة عديد الاصلاحات والانجازات، والتي لم تكن لتتحقق لولا الدعم الفرنسي القوي له، فبالرغم من الانسحاب الفرنسي من مصر إلا أنها كانت تدعمه لتحقيق مصالحها، وعرقلة النفوذ الانجليزي والوقوف ضد الدولة العثمانية[100].

5. خاتمة

إن قراءة التاريخ باعتماد الوثائق الأرشيفية، لا يلغي نظرة المصادر المحلية بل يعدلها يصححها ويثريها، ذلك أن التاريخ ليس الكشف عن وجه الحقيقة الثابتة، انما الاطلاع على مختلف الآراء والمناظرات بينها، والانتقال من الشك إلى اليقين[101]، والأكيد أن الاختلافات بين الرجبي والجبرتي تبعث على الاطمئنان في النفس، وهي ضرورية لأنها عماد التاريخ. ومن خلال هاته الدراسة وبغض النظر عن تمكن أي من الرجبي والجبرتي من حرفة كتابة التاريخ، نجد أنفسنا أمام رأيين متناقضين تماما في شخصية محمد علي وولايته على مصر، لكن ومن خلال مقارنة ما كتبه الجبرتي بما أوردته المصادر الأرشيفية المعاصرة، يتضح أن هذا الأخير كان أكثر انصافا في عرضه لأعمال محمد علي باشا؛ فذكر ما له وما عليه، وهي إحدى شيم المؤرخ الحقيقي الذي لا ينحاز لأحد مهما عظم نفوذه، وربما لو عاش الجبرتي فترة أطول لتغير موقفه من محمد علي، خاصة وأنه توقف عن التأليف سنة 1236هـ/1821م[102]، أي في وقت لم تكن فيه جهود محمد علي باشا العمرانية والحضارية قد اتضحت بعد، كما أنه لم يكن يدرك هدف محمد علي باشا من إلغائه للأنظمة التي كانت سائدة قبل فترة حكمه.

والحقيقة أن الفرق شاسع بين الرجبي والجبرتي وشتان بينهما، فالجبرتي متمكن من أدواته، يرصد، يحلل وينتقد ما يراه موجبا للنقد، ويؤيد ما يراه مستحقا للتأييد من وجهة نظره، بينما يبدو الرجبي مؤيدا على طول الخط لمحمد علي، محاولا إظهاره بمظهر الحاكم العادل المستنير، الذي تنطبق كل أفعاله وأقواله مع الشرع الإسلامي والصالح العام، لكن هذا كله لا ينفي أن مخطوطه غني بالأحداث والتفاصيل في تاريخ مصر كوصف أوضاع البلاد قبيل الحملة الفرنسية، وافتقاد الأمن، وتعرض المراكب لأعمال القرصنة النيلية وكثرة الاضطرابات ما سهل دخول الفرنسيين، إضافة لوصف دخول الأتراك (العثمانيين) مصر بقيادة قبطان باشا لإخراج الحملة الفرنسية، كما انفرد بذكر بعض الأحداث والتفاصيل عن بدايات الحركة الوهابية وانتصارهم على العربان، وسيطرتهم على الدرعية، وامتداد نفوذهم حتى الطائف وبلاد الحرمين واليمن.

كما يتضح من خلال هاته الدراسة أن ولادة مصر الحديثة ترجع لفترة حكم محمد علي باشا، الذي لم يغير من نظام الحكم فحسب بل من ثقافة الحكم[103] من عدة جوانب أهمها: أن محمد على كان أول غير مملوك يحكم مصر منذ أربعة قرون على الأقل، واستطاع بذلك انشاء شرعية جديدة للحكم في مصر، تختلف عن شرعية (الحكم العثماني- المملوكي) كما وسع من فكرة هاته الشرعية في الحكم وقاعدة الوصول إليه، و التي ضمت شيوخ الأزهر وبالاعتماد أيضا على عدد من أهم تجار القاهرة وأعيان الدلتا. وعليه فإن حركية السلطة كانت من القاهرة إلى إسطنبول وليس العكس، كما أنه حكم مصر بشكل اختلف جذريا عن من سبقوه، حيث كانت له صورة متكاملة عن تطوير مصر على عكس ما حدث في عهد على بك الكبير مثلا، أو بعض المحاولات المصرية للتقليد أثناء فترة الحملة الفرنسية، مما غير في هيكل الاقتصاد المصري برمته، هذا دون أن ننسى تطويره للجيش، وإنشائه لدولة عائلية من دون وجود أي أصل تاريخي، وهي تجربة نادرة في التاريخ الحديث للشرق.

6. الهوامش والتعليقات

[1] بيتر تشارلز هوفر، **تناقضات المؤرخين دراسة التاريخ في زماننا**، تر: قاسم عبده قاسم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص ص9-10.

[2] ليلى الصباغ، **دراسة في منهجية البحث التاريخي**، ط8، منشورات جامعة دمشق، ص ص56-57.

[3] آتيلا جتين، **رؤية الوثائق العثمانية ولاية محمد علي باشا على مصر عام 1805م**، تر: محمد عبد العاطي محمد، ط1، عالم الأدب للترجمة والنشر، بيروت، 2021، ص9.

[4] للاطلاع على عينة من الكتابات التاريخية حول شخصية محمد علي باشا وولايته على مصر (1805–1848م)، يراجع القائمة البيبليوغرافية التي أعدتها المؤرخة ماجدة الشربيني:

Magda El-Sherbini , Resources on Muhammad Ali Basha, Feb 6, 2018 . https://library.osu.edu/documents/middle-eastern-studies/LibGuides/Muhammad%20Ali%20Basha.pdf

[5] توجد للكتاب المحقق أربعة نسخ مخطوطة: الأولى بمكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج (الأمير فاروق سابقا) تحت رقم 105 تاريخ، وحملت عنوان "هذا تاريخ في شأن الوزير محمد علي باشا لخليل بن احمد الرجبي الشافعي الشاذلي .."، وهي نسخة ملك للسر عسكر ابراهيم باشا، ويعتقد المحقق أنها النسخة الأصلية، ويرجح كتابتها سنة 1238هـ/1822م. أما باقي النسخ فتحتفظ دار الكتب المصرية بعدة نسخ تحمل أرقام: 502 تاريخ، 585 تاريخ، 1149 تاريخ تيمور، كما توجد منه نسختين (صور ضوئية)، تم تصويرها سنة 1948م، تحمل أرقام: 9481 تاريخ، 3951 تاريخ. وتوجد أيضا نسخة من المخطوط ببلدية الاسكندرية تحت رقم 962 تاريخ. **ينظر**: خليل بن أحمد الرجبي، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تح: دانيال كريسيليوس وآخرون، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997، ص11؛ وتجدر الإشارة أيضا أن للمخطوط تحقيق ثان لظافر بن سعيد بن حبيب الرافعي، **تاريخ في شأن الوزير محمد علي باشا لخليل بن أحمد الرجبي: دراسة وتحقيق**، إشراف: محمد عل محمد الطيب، أطروحة دكتوراة، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2012.

[6] لعل من بين أبرز الدراسات التاريخية المعاصرة التي تناولت ولاية محمد علي باشا على مصر خلال الفترة 1801–1805م، دراسة المؤرخ التركي أتيلا جتين رحمه الله بعنوان: Kavalali Mehmed Ali Paşa'nin Misir Valiliği –Osmanli belgelerine göre "رؤية الوثائق العثمانية لولاية محمد علي باشا لمصر في ضوء الوثائق العثمانية"، ترجمة محمد عبد العاطي محمد، والتي تطرح وجهة نظر جديدة للصراع بين المماليك والعثمانيين والأرناروط على حكم مصر، ونجاح محمد علي في السيطرة على مصر سنة 1805م. وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، تناول الأول: ولاية خسرو باشا وصراعه مع طاهر باشا الأرناؤوطي، وتناول القسم الثاني: اتحاد الباشي بوزوق والمماليك، أما القسم الثالث فتناول العلاقة بن خورشيد باشا وسرجشمه محمد علي والنزاع بينهما.

[7] يذكر البغدادي في كتابيه (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2؛ وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج1) أنه توفي سنة 1827م، بينما يذكر كحالة في كتابه (معجم المؤلفين، ج4) أنه كان حيا سنة 1829م. نقلا عن: الرجبي، المصدر السابق، ص16.

[8] الرجبي، نفس المصدر السابق، ص ص17، 19.

[9] نفسه، ص ص19–20.

[10] يتفق أغلب من أرخ للدول الاسلامية خلال الفترة العثمانية بضعف الحياة الفكرية فيها ومنها علم التاريخ وهذا بسبب التركيز على العلوم النقلية دون العقلية، وإنتاج الكم لا النوع، وقد ساد خلال تلك الفترة منهجان: التاريخ الحولي، والتاريخ الموضوعي، هذا

الأخير الذي يكون فيه الشخص هو محور الحدث، وضم عدة أصناف كتاريخ الأسر الحاكمة، وتاريخ الدول الذي يعود لأصول فارسية، ويندرج ضمنه في مصر خلال القرن 16م ما ألفه المؤرخ أبو السرور البكري الصديقي (1596-1650م) عيون الأخبار ونزهة الأبصار، والنزهة الواهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، والمنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية. **ينظر**: أحمد طربين، **التاريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث دراسة عن حركة التأليف التاريخي في أقطار الوطن العربي**، دمشق، 1970، ص10؛ عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص92.

[11] الرجبي، المصدر السابق، ص26.

[12] كان عنصر المماليك يتشكل أساسا من الأطفال العبيد من نواحي قفقاسيا والجركس بوجه عام، وينشأون عسكريا في بيوت رؤوسائهم من المماليك، ومن ثبتت كفاءته يتدرج في الإدارة باسم كاشف، ثم بك. وكان يرأسهم شيخ البلد. وقد لعب تدخل الدول الأوربية دورا كبيرا في تحريض عصيانهم خلال القرن 18م، وخير دليل عصيان بولوت تبان (علي بك الكبير) حتى القضاء عليه سنة 1773م، وبعد دخولهم تحت الحكم العثماني استمروا في العصيان، وتنازعوا فيما بينهم كثيرا، وانقسموا إلى المماليك القاسمية والمماليك الفقارية. **ينظر**: جتين، مرجع سابق، ص ص32-33.

[13] الرجبي، مصدر سابق، ص ص58-82.

[14] نفسه، ص83 وما بعدها.

[15] نفسه، ص ص94-114.

[16] نفسه، ص ص115-165.

[17] نفسه، ص ص166-176.

[18] الرجبي، مصدر سابق، ص ص177-182.

[19] نفسه، ص ص183-208.

[20] نفسه، ص ص209-214.

[21] نفسه، ص ص215-230.

[22] الرجبي، مصدر سابق، ص ص231-256.

[23] عاصر الجبرتي الصراع والصدام الشديد بين القوى المختلفة في مصر حيث شهد انحلال النظام المملوكي، كما عاصر حكم الفرنسيين في مصر 1798-1801م، وعودة العهد المملوكي، وقضاء محمد علي باشا عليهم وبناء مصر الحديثة، وهو القائل: "وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها". **ينظر**: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج1، تح: عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص1؛ طربين، **التاريخ والمؤرخون العرب**..، المرجع السابق، 66.

[24] طربين، مرجع سابق، ص67

[25] الجبرتي، ج2، المصدر السابق، ص604.

[26] أسامة محمد أبو نحل، **منهج الجبرتي في حولية عجائب الآثار في التراجم والأخبار(نماذج مختارة)**، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، 2008، ص6.

[27] رقية شارف، **التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م دراسة وصفية تحليلية نقدية مقارنة (مقاربة في المنهج التاريخي)**، أطروحة دكتوراه، إشراف: أرزقي شويتام، جامعة الجزائر2 ، 2016-2017، ص11.

[28] للجبرتي بعض المؤلفات قبل عجائب الآثار، منها "التقديس بذهاب دولة الفرنسيس"، والذي ألفه مع حسن العطار بمناسبة جلاء الاحتلال الفرنسي عن القاهرة، وهو الكتاب الذي أمر محمد علي باشا بترجمته إلى التركية، من أجل التعرف على أوضاع مصر زمن الحملة، لكنه لم يطق صبرا بما كتبه الجبرتي من طعن في سياساته في كتاب عجائب الآثار وأمر بإحراقه. **ينظر**: عبد المنعم ابراهيم الجميعي، **"محمد علي وتدوين مذكراته"**، مجلة الهلال، صفر 1426/ أفريل 2005، ص83.

[29] منها احدى عشر مخطوطة بدار الكتب المصرية، ونسختان بالمكتبة الأزهرية، إضافة إلى نسخ أخرى عديدة في كل من العراق، الهند، وبعض الدول الأوربية كبريطانيا، فرنسا، ألمانيا، هولندا، وكذا روسيا، وقد طبع بعد تحقيقه عدة طبعات، كانت أولها سنة 1878م بمطبعة جريدة مصر بالإسكندرية. **ينظر**: الجبرتي، ج1، المصدر السابق، (التقديم).

[30] مباركة قالم، **أوضاع مصر السياسية والاجتماعية أواخر القرن 17م وبداية القرن 19م من خلال كتاب عجائب الاثار في التراجم والأخبار للمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي**، رسالة ماجستير، إشراف: الغالي غربي، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص292.

[31] شارف، **التاريخ والمؤرخون**..، مرجع سابق، ص295.

[32] الجبرتي، ج7، المصدر السابق، (مقدمة المحقق).

[33] نفسه، ص18.

[34] الجبرتي، ج1، المصدر السابق، ص12.

[35] نفسه، ص56.

[36] الجبرتي، ج4، المصدر السابق، ص95.

[37] الرجبي، المصدر السابق، ص85.

[38] الجبرتي، ج7، ص227.

[39] الجبرتي، **عجائب الآثار**..، المطبعة الأميرية، ج4، القاهرة، ص272.

[40] الرجبي، مصدر سابق، ص ص 85، 88.

[41] **مذبحة القلعة**: كانت بتاريخ 5 صفر 1226هـ/1مارس 1811م، نفذها محمد علي باشا للتخلص من المماليك، حيث جهز حفلا ضخما بمناسبة تولي ابنه أحمد طوسون باشا قيادة الجيش الخارج إلى الحجاز للقضاء على حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد، ودعا رجال الدولة وأعيانها وزعماء المماليك، وعند تقليد الأمير طوسون خلعة القيادة، سار الجميع خلف الموكب للاحتفال،

واستدرج المماليك إلى باب العزب، وفتح الجنود عليهم وابل الرصاص، وحاول المماليك الفرار لكن قتل أغلبهم بالرصاص، وبعدما ذاع الخبر انتشرت الفوضى في البلاد لمدة ثلاثة أيام، قتل خلالها نحو ألف من المماليك ونهب خمسمائة بيت، ولم يتوقف السلب والنهب إلا بعد أن نزل محمد علي إلى شوارع المدينة، وتمكن من السيطرة على جنوده وأعاد الانضباط، وقد انقسمت الآراء حول هذه المذبحة فمنهم من رأى أنها حادثة غدر أساءت لسمعة محمد علي، ومنهم من رأى أنها كانت خيرا لمصر، إذ خلصتها من شر المماليك. **ينظر**: الرجبي، المصدر السابق، ص111.

(42) الرجبي، المصدر السابق، ص ص 112.

(43) الجبرتي، ج4، مصدر سابق، ص ص83، 128.

(44) الرجبي، مصدر سابق، ص ص196-197.

(45) الجبرتي، ج4، المرجع السابق، ص54.

(46) نفسه، ص55.

(47) الرجبي، مصدر سابق، ص ص88-89.

(48) الجبرتي، ج4، مصدر سابق، ص62.

(49) نفسه، ص156.

(50) الجبرتي، ج7، مصدر سابق، ص205.

(51) نفسه، ص454.

(52) الرجبي، مصدر سابق، (مقدمة المحقق).

(53) تعود أصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدعوات السلفية السابقة لها كدعوة الإمام ابن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية، والتي تقوم على أساس الإيمان بالعقيدة الصحيحة ومنهج السلف الصالح، كما أنها تلتقي بالدعوات السلفية في فهمها للإسلام والتوحيد. **ينظر**: محمد كامل ظاهر، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص7. **وللمزيد ينظر أيضا**: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، **الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته**، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، 1411هـ.

(54) الرجبي، مصدر سابق، ص129.

(55) نفسه، ص123.

(56) نفسه، ص127.

(57) الجبرتي، ج3، مصدر سابق، ص346.

(58) الجبرتي، ج7، مصدر سابق، ص141.

(59) الجبرتي، ج3، نفس المصدر السابق، ص346.

(60) الرجبي، المصدر السابق، ص ص234-235.

(61) نفسه ، ص238.

(62) الرجبي، مصدر سابق، ص242.

(63) نفسه، ص243.

(64) الجبرتي، مصدر سابق، ج8، ص350.

(65) **أتيلا جتين:** ولد في بايقوز Beykoz باستانبول سنة 1942م، وأنهى دراسته الأكاديمية للتاريخ بجامعة استانبول سنة 1966م، ليشتغل بعدها في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، ثم مساعدا لمدير الأرشيف خلال الفترة (1977-1981م)، والتحق سنة 1988م أستاذا للتاريخ بجامعة استانبول، ثم جامعة سقاريا سنة 1996م. توفي يوم الخميس 4 جوان 2015 تاركا عددا من الدراسات الأرشيفية منها: ملاحظات حول الأرشيف، دليل أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، ملاحظاتي عن الدولة والمملكة في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، خير الدين باشا التونسي، ترجمة مصطفى الستيتي. **ينظر:** جتين، مرجع سابق، ص ص11-12.

(66) كانت كل قضايا ولاية مصر العثمانية، تناقش داخل الديوان الهمايوني وتسجل في دفاتر المهمة العامة إلى غاية سنة 1707م، حيث صارت تسجل في دفاتر مستقلة أطلق عليها دفاتر مهمة مصر، وقد بلغ عددها إلى غاية سنة 1915م حوالي خمسة عشر دفترا، وتعد بذلك مصدرا مهما لإعادة كتابة تاريخ مصر العثمانية، بصورة أكثر دقة وانصافا. **ينظر:** جتين، المرجع السابق، ص8.

(67) Cevdet Pasa, **Tarih-I Cevdet**, Ottoman Annales 1768-1826, 12Vols, bound in 6, Istanbul, 1891.

ترجم الجزء الأول من المجلدات إلى العربية من طرف رئيس محكمة بيروت عبد القادر أفندي الدنا، وصدر عن مطبعة جريدة بيروت، سنة 1308هـ/ 1890م.

(68) جتين، مرجع سابق، ص ص9، 24.

(69) **محمد عبد العاطي محمد أحمد:** من مواليد مدينة سوهاج بمصر في 20 جانفي 1986م، متحصل على شهادة الدكتوراة منذ سنة 2020م، وأستاذ التاريخ والحضارة العثمانية حاليا بكلية سوهاج، يتقن إضافة للغة العربية العثمانية، التركية والفارسية، له عدد مهم من الترجمات منها: التشكيلات العلمية في الدولة العثمانية، التاريخ المالي عند العثمانيين، عصيان محمد علي باشا، مختصر التاريخ العثماني لأحمد راسم، المسألة المصرية، عصر التنظيمات الخيرية وغيرها، كما له كتب محققة منها: تواريخ آل عثمان للطفي باشا، الدرر البهية في اللغة التركية، وأصدر أيضا كتاب سياسة الدولة العثمانية في مصر (1801 – 1805م). **ينظر:** محمد عبد العاطي، **سيرة ذاتية**، جامعة سوهاج، مصر، ص ص1-7 .

(70) تعديل عنوان الدراسة اجتهاد من المترجم، باعتبار أن الدراسة الأصلية لا تشمل عصر محمد علي بكامله على مصر (1805-1848م)، بل تقتصر على الفترة الأولى فقط من ولايته. **ينظر:** جتين، مرجع سابق، ص6.

(71) **نظام السالیانة:** من خلال تتبع المسار التاريخي للإدارة العثمانية في الولايات العربية، يمكن رصد ثمانية أساليب إدارية استخدمت في ألويتها المختلفة وهي: التيمار، الأوجاقلق، الحكومة، إمارة العشيرة، الآربالق، السالیانة الالتزام والمالكانة، وبأتي أسلوب التيمار

على رأس هاته الأساليب. لأكثر تفاصيل. **ينظر**: بيات، مرجع سابق، ص73 وما بعدها؛ أكمل الدين إحسان أوغلى وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر: صالح سعداوي، مج1، د.ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية ارسيكا، إستانبول، ص267 وما بعدها.

(72) جتين، المرجع السابق، ص31.

(73) **عصر الأعيان والاقطاعيين**: يقدم المؤرخ إينالجيك توصيف للقرون العثمانية الستة 1300-1914م، بداية بالقرون التقليدية الثلاثة الأولى، والتي يصفها بالمركزية حيث تميزت بحكومة مركزية مطلقة، واعتماد اقتصاد موجه ومنذ القرن 17م بدأت مرحلة الانحطاط (أزمة فتغير)، بداية بالقرن 17م نفسه الذي يعتبره مرحلة انتقالية شهدت تغيرات جذرية بعد فشل مساعي آل كوبرولو في إعادة النظام المركزي المطلق التقليدي بسبب فترة الحروب 1683-1699م التي جرت الكوارث على الدولة، وتميز القرن 18م بفترة اللامركزية، من خلال بروز القوى النافذة المحلية أعيان (أسر) الاقاليم، وإتباع الحكومة سياسة ليبرالية في الإدارة والاقتصاد وتملك الأرض، إضافة إلى تغير جذري في النظرة للغرب، والاعتراف بالتفوق الأوربي والاعتماد عليه. **ينظر**: خليل إينالجيك ودونالد كواترت، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**، مج2 1600-1914، تر: قاسم عبده قاسم، ط1، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2007، ص ص41-42.

(74) جتين، مرجع سابق، ص ص38-38.

(75) نفسه، ص ص39-40.

(76) من ضمن تلك القوات: القوات العثمانية البرية والبحرية تحت قيادة السردار الأكرم ضيا باشا وقبطان البحر كوجوك حسين باشا، والقوات الانجليزية بقيادة الجنرال هتشسون مع الأسطول والمتمركزة قرب القاهرة والاسكندرية، والقوات المملوكية التي تلقت ضربة كبيرة من الاحتلال الفرنسي، واهتز نفوذها القديم وانقسمت= =إلى فريقين: واحد بقيادة ابراهيم بك في القاهرة، وآخر بقيادة عثمان بك البرديسي (من عبيد مراد بك الذي مات قبل الجلاء الفرنسي) في مصر السفلى، وكلا الفريقين لم يكن يؤيد أبدا تأسيس إدارة قوية في مصر، لذلك التجأوا إلى الحماية الانجليزية حماية لمصالحهم. **ينظر**: جتين، المرجع السابق، ص ص45-46.

(77) جتين، نفس المرجع السابق، ص ص45-47 .

(78) نفسه، ص45.

(79) Karal. E. Z, **Selim'III**. **'un Hatti Humaynlar**, Ankara 1942, S141-142

نقلا عن: جتين، المرجع السابق، ص ص47-48.

(80) نفسه، ص ص37، 48.

(81) جتين، مرجع سابق، ص ص53-54.

(82) تولى خسرو باشا ولاية مصر رسميا في فيفري 1802م، وكان عله القضاء على بعض الصعوبات وأهمها مشكلة المماليك الذين أرادوا عرقلته بعد جمعهم للرجال من القبائل العربية البدوية بالمال، فشكل خسرو قواته العسكرية النظامية (6-10 آلاف جندي)، جمع أجزاء منها من إيالات الأناضول مع الانكشارية، وجزء آخر من عساكر الباشا بوزوق الأرناؤوط بقيادة كل من طاهر باشا

وسرجشمه محمد علي آغا، لكنه أدرك عدم تجانسها بعد إرسالها للقضاء على المماليك، لذا بدأ في تنظيم عساكر باسم (نظام جديد) من بعض الأجانب والعبيد السود، وأنشأ لهم ثكنات خاصة، واستمرت المعارك مع المماليك في الصعيد وحققت بعض الانتصارات على يد بعض الوحدات العسكرية التي كان يراسها سرجشمه محمد علي كما ذكر كاتب الوقائع العثماني جودت باشا. **ينظر**:

Cevdet, Tarih VII, s155.

نقلا عن جتين، المرجع السابق، ص ص57-62.

(83) نفسه، ص ص55-56.

(84) **الباشى بوزوق**: لفظ أطلق على المتطوعين بالجيش عند الحرب، وكانوا لا يخالطون بالقوات الأصلية للجيش بل يلتحقون بالفرسان والمشاة، ولهم سلاح وتجهيزات خاصة بهم. **ينظر**:

Cevdet, Tarih, VII, s215.

نقلا عن: جتين، المرجع السابق، ص58.

(85) جتين، نفس المرجع السابق، ص ص67، 88.

(86) نفسه، ص65.

(87) نفسه، ص ص63-64.

(88) **نتائج الوقوعات**: كتاب يؤرخ للدولة العثمانية منذ نشأتها وحتى سنة 1841م، ويولي اهتماما بمؤسسات الحكم العثماني ونظمها، صدرت الأجزاء الثلاثة الأولى منه بالحروف العربية في استانبول سنة 1877م، وأعيد طبعها مع الجزء الرابع والأخير سنة 1911م، ونقلت إلى التركية الحديثة بفضل الباحث التركي نشأت جاغتاي سنة 1979-1980م. **ينظر**: فاضل المهدي البيات، **"كتاب نتائج الوقوعات وأهميته لدراسة الأحوال الإدارية والاقتصادية للولايات العربية في العهد العثماني"**، حوليات جامعة الجزائر، ع12، ص ص249-250.

(89) Cevdet, **Tarih VII**, s156; Mustafa Nuri, **Netâyicü'I Vukuat**, C.IV, s84

نقلا عن جتين، المرجع السابق، ص67.

(90) جتين، مرجع سابق، ص ص65-66.

(91) نفسه، ص ص67-68.

(92) نفسه، ص232.

(93) نفسه، ص ص10، 11، 22.

(94) Cevdet, **Tarih VII**, s215.

نقلا عن جتين، المرجع السابق، ص78.

[95] جتين، مرجع سابق، ص232.

[96] نفسه، ص235.

[97] نفسه، ص ص22، 235.

[98] نفسه، ص233.

[99] نفسه، ص 233.

[100] جتين، مرجع سابق، ص ص21، 24.

[101] ايفون تورين، "**حول جنسية التاريخ**"، مجلة الأصالة، ع14-15، الجزائر، ماي 1973، ص88.

[102] عرض الجبرتي حياته وحياة أسرته للخطر نتيجة موقفه من محمد علي باشا؛ حيث قتل ابنه خليل بأوامر من محمد بك الدفتردار صهر محمد علي باشا وربط برجل حماره، ولم يعرفه إلا بما كان يحمله من دفاتر مكتوبة وآلات لرصد النجوم والكواكب، ونتيجة حزن الجبرتي عليه فقد بصره، وتوقف عن الكتابة والتأليف، وظل في داره منزويا حتى مات، كما أحرق منزله بالصنادقية ومكتبته الحافلة بذخائر المخطوطات خشية أن يكون فيهما كتابات معادية لمحمد علي.

[103] طارق عثمان، "**فكر محمد علي باشا –ج1– أول الاختلافات**"، جريدة المال، الكويت، 27 مارس 2022، د.ص.